

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

هذه فصول كتبت في أوقات مختلفة، وفي مناسبات شتى، وقد أُلح على عدد من الدارسين، والمهتمين بتاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، أن أنشر عليهم شيئاً من مطالعاتي في هذا الموضوع، فدفعت بها إلى المطبعة، تنفيذاً لمشيئتهم، وإن كنت قد ترددت في ذلك كثيراً، لعلمي بأن الموضوع أكبر من أن يحيط به مثلي، ولكن أمل في سعة صدرهم، وحسن تقبلهم، ونجاوزهم عما لا بد أن يكون قد فاتني، واستعدادي لتقبل ملاحظاتهم، ومحاولة تداركهم، فيما قد يأذن به الله من طبعة تالية. كل ذلك قد جعلني أقدم على تقديم هذا العمل على هذه الصورة الأولية.

ولعل ما لاحظته من إغفال شأن العلماء العرب لدى كثير من العلماء والباحثين من الأجانب، كان كذلك مما دفعني إلى العناية بتاريخ العلم، ومتابعة القراءة في هذا الموضوع، عسانا نستطيع أن نصحح تاريخنا العلمي، وأن نبين أهمية الدور الفعال الذي قام به العلماء العرب في هذا الميدان، وخاصة أن كثيرين من مؤرخي العلم، يصرون على تأريخ العلم بعصرين لا ثالث لهما، وهما العصر الإغريقي، وعصر النهضة الأوروبية الحديثة، التي بدأت في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر.

وعندى أن في ذلك ثلاث مغالطات لا بد للباحث من التنويه بها وتصحيحها.

أما الأولى: فهي إغفال ما قبل العصر الإغريقي من حضارات كالصينية والهندية والسومرية والآشورية والبابلية والفينيقية والمصرية القديمة. إذ أن العلم الإغريقي لا يمكن أن يكون قد ظهر فجأة، أو أنه لم يستفد من الحضارات التي تقدمت عليه في التاريخ.

أما الثانية: فهي إدماج العصر الإسكندري في العصر الإغريقي، فقد حملت الإسكندرية مشعل الحضارات العلمية عدة قرون، صحيح أنها امتداد للعصر الإغريقي، ولكنها نهضة وطنها مصر ومقرها الإسكندرية وجامعتها القديمة، وما كان بها من مكتبة غنية ومتحف عظيم.

وأما الثالثة: فهي تجاهل فضل العلماء العرب في العصر الإسلامي الذي ازدان بعشرات ومئات من العلماء الذين يزدان بهم العلم في كل عصر وأن، ترجموا علوم العصرين الإغريقي والإسكندري إلى العربية، كما نقلوا إليها من السريانية وغيرها من اللغات، وأضافوا إليها الكثير من مبتكراتهم، مما جعل بعض المنصفين من المؤرخين يعترفون بأنه لولا أعمال العلماء العرب، لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأ هؤلاء، ولتأخر سير المدنية عدة قرون.

ولعله مما ساعدني على القيام بهذا العمل وجود عدد من المراجع والمصادر القيمة، التي كان لها أعظم

الفضل في تيسير الكتابة في هذا الموضوع، وقد قمت بتعدادها في آخر الكتاب، فضلاً عن الإشارات الكثيرة إلى بعضها في كثير من المناسبات.

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل وأن يوفقنا إلى ما فيه النجاح والفلاح.

دكتور/ عبد الحلیم منتصر

مقدمة الطبعة الخامسة

عندما قدمت هذا الكتاب في طبعته الأولى، لم يدرك بخلدى، أن موضوعه، سيستهوى القراء والدارسين، وأنى سأقدمه بعد ذلك في طبعات تنفذ واحدة بعد الأخرى، في بضع سنوات، ولم أكن قد أشرت في أى منها، إلى الإضافات الكثيرة التى أضفتها إلى فصوله ومواده.

على أنه قد بدأ لى، وأنا أقدمه للطبعة الخامسة، بعد سبع سنوات من الأولى، أن أشير إلى هذه الإضافات أو التعديلات، معترفاً أنها لا تزال قاصرة، عن أن تحيط بموضوع تاريخ العلم، وبيان أثر العرب فى تقدمه وازدهاره. فهو موضوع أكبر من أى أن يحيط به مثلى، بل إنه ليجتاج إلى جهود عصبية من أولى العزم من العلماء، يكفون على الغوص فى بطون المراجع، والاطلاع على المصادر والمخطوطات فى مظانها.

وهأنذا أقدمه مرة أخرى، على أنه جهد المقل لا يزال. وقد أضفت فصولاً عن بعض الأعلام مثل أرسطو المعلم الأول للإنسانية، والفارابى معلمها الثانى، والزهرابى فخر الجراحة العربية، وابن ماجد بحار العرب الأول، والدينورى شيخ النباتيين العرب، وابن العوام صاحب كتاب الفلاحة. وأعدت كتابة الفصول الخاصة بآين الهيثم، والبيرونى، والرازى، كما عرّفت بنيون، رائد علم الميكانيكا فى القرن السابع عشر، ومندل عالم الوراثة الأشهر، وداروين بمجد نظرية التطور.

كما كتبت فصلاً عن جامعة الأزهر، باعتبارها أقدم جامعة فى التاريخ والحرم الرابع، الذى حفظ لنا تراثنا العلمى واللغوى والدينى، وخاصة فى عهود الظلام.

وأضفت فصلاً عن تاريخ الطب عند العرب، وآخر عن أثر العرب فى النهضة الأوربية، مبينا كيف أن العلماء العرب فى العصر الإسلامى هم الذين قدموا لأوربا زاد نهضتها العلمية، وأنه لو لم تصبنا محنة المغول والتتار والترك والاستعمار، لكانت هذه النهضة التى تفتخر بها أوربا، تكون من نصيب الأمة العربية، وتكون لغتها هى العربية، وتتقدم عليها فى التاريخ بضعه قرون.

أقدمه شاكرًا للمواطنين الدارسين تقفهم وحسن ظنهم، آملاً أن أكون قد وضعت لبنة فى سبيل تصحيح تاريخنا العلمى، وعلى الله قصد السبيل.

القاهرة - مايو سنة ١٩٧٣.

عبد الحليم منتصر.